Comprehensive Journal of Science
Volume (10), Issue (39), (March, 2026)
ISSN: 3014-6266

مجلة العلوم الشاملة
المجلد (10) العدد 39 مارس 2026
ردمد: 3014-6266

التأثيرات المعمارية و الفنية في افريقية خلال العهد الحفصي

بشير عثمان شيحة
جامعة الزنتان / كلية الآداب والعلوم بدر

Architectural and Artistic Influences in Africa during the Hafsid Era

Dr. Bashir Othman Shiha
University of Zintan / Faculty of Arts and Sciences, Badr
basherhah@gmail.com

تاريخ الاستلام:2026/01/21 –تاريخ المراجعة: 2026/02/20– تاريخ القبول: 2026/02/27– تاريخ للنشر : 2026 /03/29

ملخص البحث

تناول هذا البحث التأثيرات المعمارية و الفنية في افريقيا خلال العهد الحفصي 1229 – 1574 م بهدف تسليط الضوء على النهضة العمرانية التي شهدتها البلاد في تلك الفترة , استعراض البحث الاطار التاريخي الذي سمح بنشوء مدرسة معمارية متميزة وخلل النماذج الدينية و التعليمية والمدنية .

وقد توصل البحث الي ان العمارة الحفصية مثلت نقطة البقاء فريدة بين البساطة الموحدية و الرقة الاندلسية , والفخامة المملوكية , مما جعل من تونس حلقة وصل حضارية بين المشرق و المغرب خلال العصر الوسيط المتأخر .

المقدمة

شهدت بلاد المغرب الاسلامي خلال العصر الوسيط المتأخر تحولات جيوسياسية كبرى كان ابرزها افول بحس الوجود العربي في الاندلس وما تلاه من هجرات جماعية كبرى جنوب دول المغرب العربي و في خطم هذه المتغيرات بذرت الدولة الحفصية (626 – 922 هـ / 1229 – 1547 م)

كأهم وريت شرعي للموحدين في بلاد افريقيا حيث فتحت ابوابها لاحتضان النخب الاندلسية القارة من وطاة (حروب الاسترداد) المسيحية لم يكن الحصور الاندلسي في العهد الحفصي مجرد لجوء ديموغرافي عابر , بل كان رافداً حضارياً اعاد تشكيل ملامح الدولة و المجتمع في افريقيا .

فقد حمل هؤلاء الوافدون معهم إرثاً يمتد لقرون من التطور الاداري , العسكري , و العلمي , و الفني , مما أوجد تمازجاً فريداً بين الاصالة الافريقية (التونسية) و الخبرة الاندلسية المكتبة وتمكن اهمية هذا البحث في رصد طبيعة هذا التمازج , وتتبع اثره في تطوير دواوين الدولة , وتحصين ثغورها , وتحديث اقتصادها وتحديث اقتصادها الزراعي و الحرفي وصولاً الي البصمة العميقة التي تركتها الاندلس في العمارة و الموسيقى و الحياة الاجتماعية وهي بصمة لا تزال شواهدها قائمة حتى يومنا هذا في تونس و المدن المجاورة لها .

أهمية الموضوع :

تتجلى أهمية موضوع التأثيرات الاندلسية في افريقيا خلال العهد الحفصي في كونه لا يدرس مجرد هجرة سكانية , بل يحلل واحدة من اعمق عمليات التلاقح الحضاري في التاريخ الاسلامي .

تكمن أهمية الدراســة في كشـف كيف انتقل الثقل الثقافي و العلمي من الاندلس بعد سـقوط حوافرها الكبرى مثل قرطبة و اشبيلية الي تونس الحفصية وفي هذه الدراسة توضح كيف استطاعت افريقيا ان تصبح الاندلس الجديدة وتحافظ على التراث من الضياع .

وايضـاً تسـليط الضـوء على تطور الدولة الحفصـية وان هذه الدراسـة لها أهمية كبيرة تسـاعدنا على فهم سـر باستمرار الدولة الحفصية لأكثر من ثلاثة قرون , فالخبرة الاندلسية في الادارة و السياسية كانت اعرك الخفي (الذي ساعد السلاطين الحفصيين على بناء دولة مركزية قوية ومنظمة تفوقت على جيرانها في ذلك الوقت وابرز الدور الاندلس في الهوية التونسية)

للموضوع أهمية سوسيولوجيا اجتماعية كبرى حيث يفسر جدور الكثير من العادات و التقاليد الموجودة حالياً في تونس سواء في الالقاب العائلية او الفنون او الطبخ او اللبايس مثل الشاشية او الموسيقى المألوف مما يجعل هذا البحث جسراً لفهم الهوية الوطنية .

وتكمن أهمية البحث في توثيق التقنيات ري متطور وضـاعات دقيقة مما أحدث طفرة اقتصـادية جعلت من الدولة الحفصية قوة تجارية هامة في حوض البحر المتوسط .

ويعتبر هذا الموضوع مادة اثرية للباحثين لربط الاحداث السياسية بالنتائج الثقافية فهو يقدم نموذجاً لكيفية تحويل النكبات و اللجوء الي فرص البناء والتطوير وهو درس تاريخي يحتاجه الباحثون في العلوم الســياســية و الاجتماعية .

منهجية الدراسة

لتحقيق أهداف البحث و الاجابة عن اشكالاته اعتمدت الدراسة على تكامل بين مجموعة من المناهج العلمية التي تفرضها طبيعة الموضوع التاريخي و الحضاري

وتم الاعتماد على المنهج التاريخي وهو المنهج الاســاســي في هذا البحث حيث تم اسـتقراء المصــادر التاريخية الأولى للعهد الحفصي وذلك لرصد وتوثيق الاحداث

تقسيمات الدراسة

بناء على المنهجية و الاهداف التي وضعناها يمكن تقسيم البحث الي ثلاثة مباحث أو مطالب

المبحث الأول :

العمارة الدينية و التعليمية في افريقيا خلال العهد الحفصي

المبحث الثاني :

العمارة المدنية و العسكرية

نشــأة وتطور

المبحث الثالث

الخصائص الفنية للعمارة افريقيا خلال العهد الحفصي

المبحث الأول

العمارة الدينية و التعليمية في العهد الحفصي

يعتبر العصر الحفصي من اكثر العصور التي شهدت طفرة في بناء المنشاة ذات الطبعة الدينية و التعليمية حيث استثمر اللاجين الحفصيون في هذه الاينية لترسيخ شرعيتهم كحماة للدين و العلماء مستفيدين من الخبرات الاندلسية و الموحدية السابقة [1]

لم يكتف الحفصيون ترميم المعالم الكبرى لجامع الزيتونة بل شيدوا مساجد جديدة تعكس روح العصر .

- جامع القصبة بتونس 635 هـ / 1235 يعد أول جامع يبنى في العهد الحفصي ويظهر فيه التأثير الواضح بالعمارة الموحدية من حيث المتزنة و الضخامة الا ان متدننة المربعة المردوانه برخارف " المعقود " الخرفية شكلت تحولا جماليا صاما[2]
- عمارة الماذن : اصبحت المتدنة الحفصية عنصراً اعتمد الشكل المربع المتوح بشرفات مسننه , منع ادخال بيتجان اعمدة رخامية معاد استخدامها او منحوتة حديثاً بأسلوب اندلسي [3]

حيث اعتمد الشكل المربع المزين بأقواس متقاطعة وشبكات من الاجراء المعقود [4]

واعتمد الحفصيون بناء مساجدهم على مخطط الشهير حيث يكون البلاط الاوسط المودي الي المحراب اعرض من بقية البلاطات أوصى ميزة معمارية تعوج جدورها لجامع القيروان الكبير [5]

وتميزت المساجد الحفصية بالاعتماد على الاقبية المتقاطعة المبنية بالاجر , والتي كانت تغطي احياناً باسقف خشبية مائلة مغطاة بالقرميد الاخضر , مما اعطى للمباني الدينية سمتا وفوراً من الخارج وجمالاً هندسياً من الداخل [6]

- عمارة الماذن : منارة الفن المعماري

تعد المتدنه الحفصية هي الاسهام الابرز في افق المدن الافريقية تم استبدال البساطة السطحية للمأذن الموحدية بواجهات غنية بالرخارف الاجرية البارزة حيث اعتمد الشكل المربع المزين بأقواس متقاطعة وشبكات من الاجر المعقودة .

مما جعل المتدنة بترو وكانها قطعة من الجلي وسط المدينة [7]

- عمارة الزوايا

استحدث الحفصيون نمطاً معماريا يجمع بين الضريح ومكان العبادة مثل زاوية سيد قائم التي استحدث بكونها متحفاً مفتوحاً لفنون الرخام و الزليج المبحوث [8]

وشهد العصر الحفصي صعوداً قويا للطرق الصوفية , مما ادى لظهور نوع جديد من العمارة الدينية وهي الزاويا .

وتميزت هذه الزوايا بكونها مبنى متعدد الوظائف (مسجد , ضريح , ومطعم للفقراء)[9] .

ومن ابرز ملامح التحول في العمارة الدينية و الاجتماعية , حيث لم تعد مجرد اماكن للعبادة , بل تحولت الي موسبات روحية وعمرانية تعكس نفود (الطرق الصوفية ودعم السلطة الحفصية لها .[10]

مما ادى الي ظهور نمط معماري فريد يجمع بين القداسة و الوظيفة وهو ما يرض بالزوايا .

كان الهدف من فخامة عمارة الزوايا هو اخفاء هيبة على الولي الصالح , وتأكيد رعاية السلطات الحفصي لهذا الجانب الروحي مما جعل تشكيل نسيجاً عمرانياً موازياً للمساجد الكبرى , في المدن الحفصية مثل تونس و العدوان وبجابه .

المبحث الثاني :

نشأة وتطور المدراس في العهد الحفصي

تعتبر المدارس الحفصية في افريقيا تونس الجالية من أهم الشواهد المعمارية التي تعكس نضيج العسكري الحصاري للدولة الحفصية فهي لم تكن مجرد دور العلم , بل كانت تحفاً هندسية جمعت الوظيفة التعليمية , والراحة السكنية , و الجمال الروحي الاندلسي [11] .

يمثل العصر الحفصي المنطلق الفعلي لظهور المدرسة كمنشاة معمارية مستقلة بدايتها في بلاد المغرب العربي , فيما كان التعليم قبل ذلك مستثنا بين المساجد والرواحات [12]

استحدث السلاطين الحفصيون بدءا من ابي زكريا الأول المدراس كبيوت للعلم تضمن اقامة الطلبة وتدرسيهم تحت رعاية الدولة [12]

ومن بين هذه المدارس التي تأسست في العهد الحفصي

- المدرسة السماعية 647هـ / 1249 م أول مدرسة أسست في تونس , وتعد نموذجاً للانتقال من العرامه الموحديه الي الاناقة الحفصية , حيث تميزت بعقودها الحجرية المتبينة ونتيجاتها الرخامية الرشيفة .
- المدرسة المنتصرية القرن 9 هـ : تمثل دورة الداء المعماري اذا استخدمت فيها الرخام المستورد بكثافة بنفوس جبسية غاية في الدقة [13]

ان المدارس في العهد الحفصي لم تكن مجرد بناء , بل كانت بيئة تعليمية متكاملة استطاع المعماري من خلالها تطويع الجبس ليخلق فضاء يبعث على الهدوء و التركيز , لقد ارست هذه المدارس القواعد الاساسية للعمارة التونسية التي استمدت لقرون , وطلت مدنية تونس العتيقة تحتفظ بهدف الكنوز كشاهد على عصر النهضة التعليمية في افريقية [14] .

المبحث الثالث

الخصائص الفنية للعمارة في افريقية خلال العهد الحفصي

تعتبر الخصائص الفنية للعمارة في العهد الحفصي بمثابة الهوية البصرية التي ميزت افريقية (تونس) عن غيرها حيث نجح المعمار الحفصي في صهر التقاليد المحلية الموروثة مع الفنون الاندلسية الوافدة [15] .

ومن بين هذه الخصائص المعمارية مقسمة الي محاور اساسية

1 – التوازن بين الضخامة والرقة في التكوين العام تميزت العمارة الحفصية بثنائية الوظيفة و الجمال فبينما حافظت الكتلة الخارجية للمباني وخاصة العسكرية على مظهر صلب و وشقق متأثر بالنهج الموحدي , انفجرت

التفاصـيل الفنية و الزخرفية في الفضـاءات الداخلية للمباني و المدارس , مما خلق تبايناً فنياً يمنح الزائر شـعوراً بالانتقال من عالم القوة الي عالم السكينة [16]

2 – الموارد الانشائية وتوظيفها الفني

الحجم الكدال (الصـلادة) اسـتخدم الحفصـيون هذا الحجر الكلسـي الصـلب في القواعد و الواجهات , مما اعطى المباني لوحاً وقوراً وقدرة عالية على مقاومة الزمن .

الرخام الفخامة : استخدم الرخام الابيض في أعمدة المدارس واللاطات القصور , وغالباً ما كان يستورد او يعاد تدويره في المواقع الاثرية القديمة بلمسة اسلامية [17] .

خشـب الارز (الدف) اسـتخدم في السـقوف و الاسـقف المائلة القرميد بزخارف هندسـية دقيقة تعرف بفن المقرنصات الخشبية .

3 – الهندسة الزخرفية : اللمسة الاندلسية الحفصية

شكلت الزخرفة ركناً اساسياً في الخصائص الفنية واعتمدت على ثلاث تقنيات :

النقش حديدة : هو الابتكار الابرز في هذا العصـر , حيث يتم النحت على الجبس الرطب بمهارة فائقة لأنشـاء اشكال بناتية أو هندسية .

الزليج (الفخار الملون) : استخدم لتكسيه الجدران السفلية وتميز بتناسق الالوان الباردة الازرق و الاخضر و الاصفر مع الابيض مما يمنح احساناً بالبرودة و الاتساع [18] .

الخط العربي : تحول الخط (خاصة الكوني و ....)

من وسيلة للكتابة الي عنصر زخرفي يحيط بالأبواب والمحاريب مسجلاً تاريخ البناء و الادعية [19] .

ان الخصـائص الفنية للعمارة الحفصـية لم تكن مجرد تقليد للاندلسـي او اسـتمرار للموحدين , بل كانت توليفه افريقية خاصـة , اسـتمدت قوتها من الحجر المحلي وجمالها من الروح الاندلسـية , لتقدم لنا عمارة تتسـم بوقار القلاع ورقة القصور [20]

الخاتمة و النتائج

في ختام هذا البحث , نخلص الي ان العمارة المدنية و العسـكرية في العهد الحفصـي لم تكن مجرد اسـتجابة لظروف مرحلية , بل كانت تعبيراً صادقاً عن العصر الذهبي لافريقية .

لقد اسـتطاع المعمار الحفصـي بذكاء قد ان يراوح بين الطرامة القلاع التي تفرضـهما التحديات الامنية في المتوسط , وبين رفاهية المدرسي والقصور التي تعكس الرقي الثقافي و الفكري .

ان ما تركه الحفصـيون من معالم في مدينة تونس وغيرها مجرد حجارة صـماء بل هو تدوين بصـري لمرحلة انصـهرت فيها الهوية المحلية بالخبرات الاندلسية و الموحدية لتنتج لنا المدرسة التونسية الاصلية التي لا تزال نلمس اثارها في المدينة العتيقة الي يومنا هذا .

نتائج البحث

من خلال دراسة العمارة المدنية و العسكرية في هذا العهد يمكن استخلاص النتائج التالية :

1 – الريادة التعليمية : اثبت البحث ان العهد الحفصي هو المؤسس الفعلي لنظام المدارس المستقلة في افريقية , مما جعل من تونس مركزا تعليمياً ينافس القروبين في المغرب و الازهر في المشرق .

2 – التأثير الاندلس العميق

أكدت النتائج ان الهجرات الاندلسـية لم تكن مجرد انتقال سـكاني , بل كانت نوارة تقنية أدت الي ادخال فنون النقش حديدة و الزليج وتطوير انظمة الدي المتقدمة في القصور و الحدائق .

3 – الهوية المعمارية المسـتقلة : نجح الحفصـيون في خلق التاج الحفصـي و العقود المتميزة , مما يؤكد استقلاليتهم الفنية عن التبعية الكاملة للموحدين او الاندلسيين وتأسيس نمط معماري تونسي .

4 – التكامل بين المدني و العسـكري , اظهرت الدراسـة ان العمارة الحفصـية لم تفصـل بين المنفعة و المنعة , فجامع القضية ديني , مدني كان في الوقت ذاته جزءاً من منظومة دفاعية عسكرية , مما يعكس شمولية التخطيط العمراني للدولة

المراجع

1 – ابن الشماع (ابوعبدالله محمد)

الادلة البيئية التوازنية في مفاضـر الدولة الحفصـية ,تحقيق الطاهر المعموري , الدار العربية للكتاب , تونس 1984م .

2 – ابن الشماع , مرجع سابق ,ص121 .

3 – عامر احمد , الدولة الحفصية (تونس , منشورات دار الكتب الشرقية

4 – عامر احمد , المرجع السابق ص 77 – 78 , ص 75 – 76 .

5 – الدولاتلي عبدالعزيز , مدينة تونس في العهد الحفصي .

6 – ابن الشماع , مرجع سابق ص123 .

7 – برانفسيك روبرت , تاريخ افريفية في العهد الحفصـي , تعريب حمادي السـاحلي , دار الغرب الاسـلامي , بيروت 1988, ص11 .

8 – الباجي بن مامي " محمد " المدارس الحفصـية بمدينة تونس , منشـورات المعهد الوطني للتراث , تونس 2006 .

9 – الباجي بن مامي , مرجع سابق ص 100 .

10 – جلال ناجي , تاريخ العمارة في تونس عبر العصور , دار المعارف للطباعة و النشر تونس , 1970 م .

11 – ابن خلدون عبدالرحمن , كتاب العبر وديوان المبتدا و الخبر , دار الفكر , بيروت 1968 , ص 119.

12 – جلال ناجي , مرجع سابق ص55 .

13 – محمد عبدالعزيز عاشور , تونس في العهد الحفصي , دار حراس للنشر , تونس 2003 م , ص48 .

14 – حسام الدين شاشيه , الهجرة الاندلسية الي البلاد التونسية , مكتبة علاء الدين , صفاقس 2010 , ص115 – 118

15 – المراكش , عبدالواحد اخبار المغرب , تحقيق محمد سعيد العريات , القاهرة 1963 م ص 340 .

16 – ابن القنفد القسنطيني

الفرسية في مبادئ الدولة تحقيق محمد

الشاذلي التغير و عبدالحميد الذكي .

الدار التونسية للنشر , 1968 م ص 154 .

17 – محمد عبدالعزيز عاشور , مرجع سابق ص 84 – 87 .

18 – حسام الدين شاشيه , مرجع سابق ص 188 .

19 – احمد سعداوي , الجدور الحفصية , كلية الاداب بسنة 2001 ص 42 – 45 .

20 – ابن ابر دنيار الغداوني , المؤنس في اخبار افريقية وتونس , تحقيق محمد شـــمام , المكتبة العتيقة تونس , 1967 ص 11